



خمس حقائق من فقه الابتلاء .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أماناء دعوته وقادة ألويته ، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين

الابتلاء :

قال تعالى :

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾

[سورة العنكبوت الآيات : 1-2]

لقد جرت سنة الله في الحياة الدنيا أن تبني على الابتلاء ، فالإنسان يبتل في دينه ، ويبتل في ماله ، ويبتل في أهله ، وكل هذه الابتلاءات ما هي إلا امتحانات يمتحن الله بها عباده ليميز الخبيث من الطيب ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين .

وقد صدق من قال : إن الله تعالى يقوي أعداءه ويقويهم حتى يقول ضعفاء



الإيمان أين الله؟! ثم إنه ليظهر آياته في الانتقام للمظلومين حتى يقول الملحدون
لا إله إلا الله .

والفتن والابتلاءات التي يتعرض لها أهل الإيمان كثيرة :
ومن بين هذه الفتن أن يتعرض المؤمن للأذى والاضطهاد من الباطل وأهله من
أعدائنا أعداء الحق والخير والإنسانية ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه
الأذى ، ولا يملك لنفسه النصرة أو المنعة ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان
.

خمس حقائق من فقه الابتلاء :

فما هي الحكمة من الابتلاءات التي يبتلئ الله بها المؤمنين؟!

الحقيقة الأولى : الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة .

الحقيقة الأولى إن الله تعالى غني عن تعذيب عباده وحاشا له جل جلاله أن
يكون هدفه من الابتلاء تعذيب عباده أو إيذاؤهم فهو جل جلاله الرحمن الرحيم
خلق عباده ليرحمهم ويسعدهم بمعرفته وعبادته .
أما هدف الابتلاء فهو الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة الكبرى والمسؤولية
العظمى ، فحمل الأمانة لا يتم إلا بالمعاناة ، وإلا بالاستعلاء الحقيقي على
الشهوات ، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام ، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله أو
ثوابه على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء .



فكما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به ، كذلك تصنع الفتن بالنفوس تصهرها فتنتفي عنها الخبث .

الحقيقة الثانية : الابتلاء يكفر الخطايا والذنوب .

الحقيقة الثانية في فقه الابتلاء أن الابتلاء يكفر الخطايا والذنوب ويرفع عند الله الدرجة .

ومن خلاله يشهد الله لأهله بأن في دينهم صلابة ، وفي عقيدتهم قوة فهو سبحانه يختارهم للابتلاء .

وفي الحديث الشريف :

عن مصعب بن سعد رحمه الله ، عن أبيه رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أيُّ الناس أشدُّ بلاءً ؟ قال :

((الأنبياءُ ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ ، يُبتلى الرجلُ على حسبِ دينه ، فإن كان دينُهُ صُلْبًا اشتدَّ بلاءُؤه ، وإن كان في دينه رِقَّةٌ على حسبِ دينه ، فما يبرحُ البلاءُ بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة))

[أخرجه الترمذي]

ويقول المصطفى :

((أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الصالحون ، لقد كان أحدهم يُبتلى بالفقر حتى ما



يجدُ إلا العباءة يجوبها ، فيلبسها ، ويُبتلى بالقمل حتى يقتله ، ولأحدهم كان أشدَّ فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء))

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

وقد ورد في صحيح البخاري أن النبي قام يوماً يصلي في حجر الكعبة فأقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق النبي فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي وهو يقول أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله .

ولقد ورد أيضاً في صحيح البخاري عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال : أتيت النبي وهو متوسد بردة في ظل الكعبة – وقد لقينا من المشركين شدة – فقلت : يا رسول الله ألا تدعو الله لنا ، ألا تستنصر لنا ، فقعد وهو مُحمرُّ وجهه فقال :

((لقد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط من الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله))

وإذا كانت هذه الاعتداءات على النبي وله من الجلال والوقار في نفوس العامة والخاصة فكيف بالصحابة الكرام ، لاسيما الضعفاء منهم ، فأنتم تعلمون ما الذي كان يُفعل ببلال و خباب وآل ياسر وصهيب وابن مسعود وغيرهم ممن قالوا : لا إله إلا الله .



فضربوا لنا أروع الأمثلة في الصبر على البلاء والتضحية لهذا الدين حتى ولو كانت بالأرواح والأبدان .

الحقيقة الثالثة : عملية الفرز .

الحقيقة الثالثة في فقه الابتلاء أن الله تعالى يمحس الناس في الابتلاء ويفرزهم فيظهر نفاق المنافقين وينجلي كذب الكاذبين كما يظهر ثبات الثابتين ويتضح إيمان المؤمنين قال تعالى :

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة آل عمران : 141]

قال ابن القيم رحمه الله :

إن الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ، ويبتليها ، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها ، ومن يصلح لموالاته وكرامته ومن لا يصلح ، ولیمحص النفوس التي تصلح له ويخلصها بكير الامتحان كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان ، إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة ، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية ، فإن خرج في هذا الدار وإلا ففي كير جهنم ، فإذا هذب العبد ونُقي أُذن له في دخول الجنة .

ليس أحدٌ أغير على الحق وأهله من الله .. ولكنها سنة الله الجارية لامتحان



القلوب وتمحيص الصفوف ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾

[سورة العنكبوت الآية : 2]

الحقيقة الرابعة : إظهار آياته .

الحقيقة الرابعة في فقه الابتلاء أن الله تعالى من خلال الابتلاء يظهر للناس آياته
ويبين لعباده عاقبة الظلم والظالمين ويستخلف عباده الصالحين مهما طال
مدة الابتلاء .

فأين فرعون الذي قال لقومه :

﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾

[سورة القصص الآية : 38]

والذي قال لقومه :

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾

[سورة النازعات الآية : 24]

والذي قال :

﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾

[سورة الزخرف الآية : 51]

فأجراها الله من فوقه !

وأين هامان ؟ وأين قارون ؟ وأين عاد ؟ وأين ثمود ؟

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

[سورة العنكبوت الآية : 40]

وصدق من قال :

أين الظالمون وأين التابعون لهم في الغي بل أين فرعون وهامان ؟
وأين من دوخوا الدنيا بسطوتهم وذكرهم في الورى ظلم وطغيان ؟
أين الجبابرة الطاغون ويحكمهم ؟ وأين من غرهم لهو وسلطان ؟
هل أبقى الموت ذا عزٍ لعزته ؟ أو هل نجا منه بالأموال إنسان ؟
لا والذي خلق الأكوان من عدم الكل يفنى فلا إنس ولا جان

وفي الحديث الشريف : (اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا ، وَبَيْنَ اللَّهِ



حِجَابُ] [أخرجه الترمذي]

وفي رواية أخرى : (دعوة المَظْلُومِ ، يَرْفَعُهَا اللهُ فوقَ الغَمَامِ ، وتُفْتَحُ لها أَبْوَابُ السماء ، ويقول الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ) [أخرجه أبو داود والترمذي]

الحقيقة الخامسة : الشوق لله تعالى .

الحقيقة الخامسة في فقه الابتلاء أن الابتلاء في الدنيا يجعلك في شوق للقاء الله تعالى فالدنيا لا تستقر لأحد ولا تدوم على حال فإذا ما اشتد الكرب وتعاضم الابتلاء اشتاق المؤمن للقاء مولاه وخرج حب الدنيا من قلبه وتعلق بالآخرة وعمل لها وسعى .

اللهم ارحم شهداءنا وداو جرحانا وفك أسر المعتقلين واحقن دماء الأبرياء المظلومين .

والحمد لله رب العالمين